

تاريخ القبول: 2023/02/04

تاريخ الإرسال: 2022/02/01

تاريخ النشر: 2023/02/16

**أنثروبولوجيا الشخصية العجيبة في أساطير البلدان الواقعة ضمن  
مسارات تجارة القوافل العابرة للصحراء (الاهقار نموذجاً)  
Anthropology of the miraculous personality in the  
legends of the countries located within the trans-  
Saharan caravan trade routes (Ahaggar as a model)**

<sup>1</sup>خديجة بالمين، محمد بن منوفي<sup>2</sup>

جامعة الجزائر2(الجزائر)، Khadidja.balamine@univ-alger2.dz

جامعة الجزائر2(الجزائر)، benmanoufima820gmail.com

**المخلص:**

تهدف هذه الدراسة الى التعريف بالاسطورة بمنطقة الاهقار وتسלט الضوء على الشخصية العجيبة في محاكاتها للواقع باعتبار ان التفكير الجمعي بالاهقار لايزال يقدها ويؤمن بشروها، كما تحاول الدراسة بيان دور النسق الانثروبولوجي في بناء الشخصية العجيبة في أساطير الاهقار، ومدى تأثير تجارة القوافل العابرة للصحراء في تحميل الأساطير تحولات جديدة أضافها التنوع الثقافي والبيئي الجديد.

ونجد في المقاربة الانثروبولوجية الآلية القرائية المناسبة في معرفة الحمولة الرمزية والإيحائية للأسطورة بالاهقار. وخلصت الدراسة ان الاساطير لا موطن لها فهي خلاصة معمقة من تجارب الانسانية ونظرتها للحياة  
**الكلمات المفتاحية:** نسق؛ انثروبولوجيا؛ عجيبة؛ أساطير الاهقار؛ رموز.

**Abstract:**

This study aims to explain the Hoggar's myth, where it sheds the light on the fantasy character in its imitation to reality of the Hoggar; taking into account the collective thinking belief of its demons. This study also tries to introduce the role of anthropological layout in making a fantasy character in the Hoggar's myths as well as the impact of trans-Saharan, where new transformations have been added by the environmental diversity in addition to myths. The anthropological approach is thought to be the appropriate reading mechanism in defining the symbolic and suggestive charge of the myth. As conclusion to this study, myths do not have a homeland but they are due to the recapitulation of humans experiences and the way they look to life.

**Keywords:** : layouts, anthropology, fantasy , Hoggar's myth, symbol

المؤلف المرسل: خديجة بالمين: KHADIDJA.BALAMINE@UNIV-ALGER2.DZ

**1. مقدمة:**

تعد الأسطورة حقلًا خصبا للدراسات الانثروبولوجية باعتبار الأولى من إنتاج الشعب والثاني "علم يهتم بدراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا"<sup>1</sup> ، على تعدد اختصاصاته ومدارسه الانجليزية والفرنسية والأمريكية والجدل الذي خلقته هذه المدارس .

وتساعد الإجراءات القرآنية للانثروبولوجي في قراءة وفهم النظام والبناء الاجتماعي السائد في مجتمع الدراسة من خلال أساطيره ،اذ تقول الباحثة الامريكية مارجريت ميد (1901-1979) "نحن نصف الخصائص الانسانية البيولوجية

والثقافية للنوع البشري، عبر الأزمان وفي سائر الأماكن، ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية كأساق مترابطة ومنغيرة وذلك عن طريق نماذج ومقاييس متطورة كما تهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجية...<sup>2</sup>

واهتمت الانثروبولوجيا بدراسة النظم الاقتصادية فضلا عن الاجتماعية، ولما كانت تجارة القوافل بمنطقة جنوب الجزائر والدول الغربية والجنوبية لحدود الجزائر، جزءا من النظام الاقتصادي؛ فإنها لن تكون بمنأى عن عين الانثروبولوجي، وأدواته ووسائله، وان كنا هنا بصدد دراسة النتاج الأدبي الشعبي الذي ساهمت القوافل التجارية في نقله عبر مساراتها، وكيف ساهمت في تلاحق جملة الأساطير من أماكن وأزمنة مختلفة، والأنساق الانثروبولوجية التي ألبستها للأسطورة في البدء وجب التعريف بالقوافل التجارية التي عبرت منطقة الاهقار لفهم علاقتها بالاسطورة.

2. تجارة القوافل مساراتها ودورها في البناء الحضاري:

1.2 تجارة القوافل العابرة لمنطقة الاهقار:

لجأ التوارق للتجارة كجزء من المحافظة على الحياة الاقتصادية في المنطقة، اذ كانت الاهقار ممرا للقوافل التجارية الوافدة من منطقة امدغور بامقيد شمال الاهقار وصولا بها نحو اسواق المالي والنيجر وحتى تشاد. وهي نفسها طريق العودة للوصول الى توات.

كان لتجارة القوافل في الاهقار رحلتي الشتاء والصيف، اما في الشتاء فيحملون ابلهم الملح ومنتجات ماشيتهم من منتجات الالبان و الابل نفسها نحو منطقة تيديكلت وتجاوزها نحو توات لمبادلتها بالتمر. وتبدأ من شهر جانفي وتستمر حتى مطلع افريل .

أما رحلة الصيف فتقودهم نحو الجنوب لكل من مالي والنيجر لمبادلة سلعهم بالسكر والشاي وتنتقل في شهر جوان، مروراً بمنطقة "تامسنا" التي تعد منطقة

راحة للجمال من عناء السفر ،ولما كان لبعض القبائل قطعان من الابل في تمسنا كانوا يستبدلون الابل القادمة من امدغور بالتي في المرعى ضمانا لرحلة آمنة، وكانت القبائل تضرب موعدا لتلتقي بقبائل أخرى،في منطقة "اين آتاي " (بالقرب من عين قزام جنوب الالهقار) ،ولم تكن تغادر القافلة حتى تصل جميع وفود القبائل المغادرة وان تأخرت الرحلة بيوم او يومين ،فكلما زاد العدد عم الامان <sup>3</sup> ، وقد أفادني مصدر آخر : عن منطقة اخرى تعد نقطة لقاء للقوافل حيث وجدت علي الحجارة هناك اثار رسائل كان المسافرون يتبادلونها تسمى المنطقة "اسلي\_ ن\_ تراكفين" وكانت ملتقى للمسافرين القادمين: من مالي إلى ليبيا ؛ من امدغور إلى النيجر ؛ من آجر إلى النيجر<sup>4</sup>

ويقول احد كبار قبيلة دق غالي من عائلة اخون بقرية تاغمارت : "ان سلعهم تمثلت في الملح ومنتجات الألبان من سمن"يطلق عليه دهن هقار" ونوع من الجبن المجفف على الصخور وكذلك الحبال المصنعة من شعر الماعز وتتم مقايضتها بالسكر(كان السكر يأتي في شكل قالب مخروطي ويسمى سكر القالب يؤتى به من ليبيا والنيجر حيث يؤكد الراوي ان سكر قالب ليبيا يزن 5 كيلو في حين يزن القالب القادم من نيجر كيلو ونصف) والشاي والاقمشة (منها :المحمودي،ليلي،آلشوو...) والنبغ

## 2.2 الطرق التجارية من والى الالهقار:

طريق النيجر: من امدغور(امقيد) ثم ادلس ثم تاهيفت ثم اين اتاي ،تقلاي ،تيمغسول ،اين ازوى ،ارليت (النيجر)،اخيرا اقدز(النيجر) طريق مالي: من سيلت (تامنغست) ،امزهرن،ان قوردين ،ايلاغ،اينتاقيني ،تين زواتين ،شبرش ،مالي

طريق الى ثوات: الطريق الاول: ابن امقل، اينكر اراك، تغاتيين، تاجموت، الخنيق، اين صالح

الطريق الثاني الذي شقته فرنسا: امقيد الخنيق فقارة الزوى<sup>5</sup>

### 3.2 نقطة التقاء القوافل المغربية والقوافل الوافدة من الاهقار :

تعد منطقة اقبلي بأدرار اهم نقاط التقاء جميع القوافل المتجهة نحو السودان او المدن الافريقية السواحلية، خاصة بعد انتشار قطاع الطرق على مستوى الاهقار وانقطاع مسارها؛ كما عرف مسار اخر الى ليبيا يقطع الاهقار، واطلق عليه بالتارقية: "اسلي انتراكفين" ومعناها هضبة القوافل إذ كانت هذه المنطقة لقاء للوافدين من المغرب ومن الجنوب بمعنى مدن افريقية جنوب الجزائر ومن ليبيا ايضا.

كانت هذه الرحلات شبه مغامرة لما ينتظر القوافل من مجاهيل بشرية كانت أو حيوانية أو طبيعية وربما عجيبة .

### 3. مفهوم العجب

#### 1.3 في اللغة:

والعجيب لغة من: من مادة "عجب) العين والجيم والباء أصلان صحيحان يدل أحدهما على كبر واستكبار للشيء والآخر خلقة من خلق الحيوان فالأول العجب وهو أن يتكبر الإنسان في نفسه تقول هو معجب بنفسه وتقول من باب العجب عجب يعجب عجا وأمر عجيب وذلك إذا استكبر واستعظم" (ابو الحسين و بن فارس، صفحة 243)

ووردت عند الرازي أيضا بمعنى "العَجَبُ و العَجَابُ بالضم الأمر الذي

يتعجب منه وكذا العَجَابُ بتشديد الجيم" (محمد بن ابي بكر، ب ت، صفحة 412)

وهي بذلك لم تخرج من دلالات التعظيم واستكبار الأمر

### 2.3 العجيب في الاصطلاح :

لم تقف الدراسات النقدية على مفهوم دقيق وواضح ومتفق عليه في تعريف العجيب ،بل تدخل وتشكل مع مصطلحات اخرى ،اذلا يمكننا أن ندرس هذه المفاهيم (العجيب، والغريب، والфанطاسي) بمعزل عن بعضها البعض، لأنها تتقاطع وتتداخل فيما بينها.

ومن مرادف العجائبي أيضا الغريب فيما ورد عند القزويني "أن الغريب كل أمر عجيب قليل الوقوع مخالف للعادات المعهودة والمشاهدات المألوفة، وذلك إما من تأثير نفوس قوية أو تأثير أمور فلكية أو أجرام عنصرية، كل ذلك بإرادة الله تعالى وقدرته" (القزويني، 1977، صفحة 38)، وكان لرائد العجائبية الحديثة ترفيتان تودروف باع في ضم مصطلح الغريب الى العجيب، قائلا: "العجائبي يحيا حياة ملؤها المخاطر، وهو معرض للتلاشي في كل لحظة، يظهر بالأحرى انه الحد بين نوعين: هما العجيب والغريب، أكثر مما هو جنس مستقل بذاته" (تودروف، ب ت، صفحة 65)

ان اهم مارواه رواد تجارة القوافل من حكايات تصور شخصيات عجيبة عرضت طريقهم ونالت منهم حيناً ونالوا منها احيانا ،وظل السودان الفرنسي تلك الارض البكر تكشف في كل رحلة عن مجاهيلها ، اذ لقيوا الجن والعماريت والحيوانات المتكلمة والكائنات العجيبة .

### 4. اسطورة "تئيسمت" :

في البدء لابدّ من رواية متن الأسطورة للانطلاق في قراءة عميقة لمكوناتها السردية ثم الانثروبولوجية ،ومن ثم إحالتها للواقع وفهم تغيراتها:

الرواية 1: "تتسمت امرأة تتلحف بالسواد تظهر في الليالي الحالكة في صورة امرأة شديدة الجمال لتغري الرجال وتفتك بهم ،لها اقدم حمار اوبغل (في بعض الروايات) وعواء ذئب ،كما لها اظافر طويلة وحادة كالمخالب لتثببت فريستها من الرجال،وهي امرأة عادية في النهار ،فإذا حل الليل استحالت وحشا.

الرواية 2: هناك من يقول أنها امرأة ماتت ثم عادت الى الحياة ،يسكنها جن وتطارد الرجال.

الرواية 3: وهناك من يقول أنها تمتص دماء الرجال بعيونها الحمراء،ومما قيل عنها ايضا انها ترفس الرجال ليفقدوا وعيهم ثم تفتك بهم ،وهي تحب الاماكن النجسة، لكنها تخشى الشيح ورائحة الثوم ولا تضر التوأم"

الرواية 4: يرى آخرون بأنها امرأة جاءت من السودان (السودان الفرنسي :مالي والنيجر)

#### 1.4 دلالة الاسم واصله اللغوي:

"تتسمت اسم باللفظ التارقي ،اسم مركب من لفظتين "تين - اسمت" :

تين :صاحبة او ذات و لفظة اسمت :الاسم ،بمعنى صاحبة الاسم ،وهي كناية عنها وتلميح خشية ذكر اسمها خوفا من حضورها .

ولها دلالة أخرى انها مأخوذة من الكلمة التارقية تيسميتين بمعنى الغيرة ،وأطلق عليها لأن هذه المرأة حسب الأقوال عانت من غيرة شديدة بعد أن تركها زوجها ليقترن بأخرى ،ومن شدة غيبتها تحولت الى وحش يضرب الرجال فقط.

#### 5. الأنساق الانثربولوجية في أساطير مجتمع اهقار :

#### 1.5 النسق الفكري والمرجعية العقائدية في الوعي الجمعي بالأهقار

لا يزال الوعي الجمعي بالأهقار يزرع تحت مرجعية عقائدية نسجها الأسلاف ضمن المخيال الحكائي الشعبي ،ولعل أبرزها أسطورة تتيسمت .

كانت الأهمّار حتى فترة الثمانينات ومطلع التسعينات تعتقد بشكل قاطع بوجود الكائنات العجيبة وأذيتها للإنسان، وكانت الامهات تعد العدة للليالي (تعريف الليالي وهو تقويم فلاحى) اذ اعتبرن انها موعد لانتشار الجن فكن يضعن للأبناء صرر من نبات الشيح ظنا أنها تبعد الجن، وكانت تسمت الشخصية الأهم التي يخشاها الجميع وحسبهم انها تحل في ليالي البرد الطويلة .

### 2.5 النسق الانثروبولوجي في اسطورة تنيسمت:

ان ما تحمله هذه الاسطورة من حمولة انثروبولوجية غنية عززتها المرجعيات العقائدية والعرفية والحضارية لمجتمع ايموهاغ نهقار وما تلاقح معه من شعوب مجاورة تفتتح على قراءة للفعاليات اليومية و المناسباتية و انساق الفكر والتصور وتأثير المعتقد في الفكر والنتاج الشعبي، عزز هذه الاسطورة وغيرها بمظاهر غنية تتجلى في شخصيات واحداث والخلفيات المنعكسة عنها.

### 2.5.1 الشخصية العجيبة في الاسطورة :

إنّ العجيب - انطلاقا من عمل بروب والشكلانيين الروس - متعلّق بالحكاية والأشكال السردية، من رحمها ولد وفي جوّها ترعرع وشكّل سلطته. ويمكن أن نرصده في المتن الحكائي كلّما ظهر عالم تتحرّك في إطاره شخصية أو شيء يمتلك و يمارس قوة خارقة وغير عادية<sup>6</sup> وعليه فالشخصية العجيبة: وفق هذا التعريف تلك التي تمارس قوة خارقة وغير عادية ويرى تودروف ايضا ان "جنس العجيب يُربط عموما بجنس حكاية الجن... غير أن حكاية الجن لا تعدو في الحقيقة أن تكون واحدة من منوّعات العجيب"<sup>7</sup>.

أما أندري ميكال فيرى " أنّ العجيب هو تكوين مخلوق يصير خرافيا أو أسطوريا بعناصر طبيعية لكنّها لا تجتمع عادة في الوضع الطبيعي"<sup>8</sup>، مما يجعل منه مخلوق يتميز بميزات مخالفة للطبيعة سواء فيزيولوجيا او سيكولوجيا .

مما يبدو ان "تتيسمت" جمعت بين عناصر خرافية من خلال استغلال الزمن من جهة والظهور بلامح فيزيولوجية من غير الطبيعي اجتماعها في مخلوق واحد، فهي تنتقل بين زمنين في اليوم الواحد و تجسد سلوكات عجيبة كالتمثل بالحيوانات من خلال عواء الذئب وقوة حمار او بعير.

### 3.5 نسق المرأة في أسطورة تتيسمت :

#### 1. 3.5 المرأة في المجتمع المحلي:

ظلت صورة المرأة في تاريخ ايموهاغ نهقار(؟) متعلقة بمكانة الملكة "تين هنان" بما امتازت به من قوة شخصية ومكانة بين قومها إذ أسست لحضارة قائمة بذاتها في الاهقار، وأمست نساء الاهقار تتميزن بذات المكانة بين أهلهن وقومهن . وتعددت مهام المرأة التارقية في مجتمعا فهي الحافظة للتراث والقائمة على نقله للأجيال"كانت الأم بالنسبة لنا مصدر كل معلوماتنا ،فمنها تعلمت كيفية نصب الخيمة وتفكيكها واسماء اعمدتها...وهي اللتي علمتني كيف اتعرف على النجوم...امي علمت اخواتي اسرار الاعشاب والنباتات..."<sup>9</sup>

والمرأة التارقية تورث الأبناء المكانة الاجتماعية والجاه لا النسب، وهذا توضيح لما تناقلته بعض المؤلفات الأروبية وبعض وسائل الاعلام الوطنية، فالابن في الاسرة التارقية ينسب لابيه ويرث عن والدته المكانة الاجتماعية وسابقا يرث السلطة والحكم و هو ما يطلق عليه "تمانوكلا" بحيث يرث السلطان او الامانوكل ابن اخته وابناء اخواله .

ومما اثارته ايضا اقلام الباحثين الغرب ان المرأة التارقية تملك زمام الحكم فمبرره "ان الرجل التارقي يكون في ترحال كبير، يتغيب كثيرا عن مخيمه، مما جعل المرأة تتحمل تسييره وادارته..."<sup>10</sup> وذلك يقع ضمن التحديات التي تعرض لها المرأة في ظل غياب الحامي لها.

وعليه فان النظرة الانثروبولوجية للمرأة في الاهقار لا تخلو من تميز وتكريم لها ،وهذا الانزياح الحاصل في شخصية "تتيسمت تبرره عوامل نفسية وعوامل اجتماعية فصلها ضمن النسقين النفسي و التاريخي .

#### 4.5 النسق النفسي:

تتيسمت امرأة يقال أنها تعاني غيرة شديدة ،وفي الدراسات النفسية تترجم هذه الغيرة الى ما يصطلح عليه في علم النفس الغيرة المرضية "الشيزوفرنيا " وهو اضطراب عقلي يكون فيه الشخص قد فقد واقعيته وحقيقته لأن الفصامي في عالم خيالي وهمي هروبا من الواقع ومشكلاته فينسحب مراجعا ومتجاهلا كل المشاكل الواقعية ويؤدي هذا الانسحاب السلبي الى والجمود فيصير المريض عديم الحركة ويرفض الطعام أو الكلام أو بذل أي جهد وقد يتصور نفسه حيوانا او جمادا فيقلده ويطلق عليه الفصام الكاتاتوني ،إلا انه أحيانا يتعرض لنوبات من الهياج ويصبح خطر على نفسه وعلى القائمين برعايته.

#### 5.5 النسق التاريخي :

مما اشرنا إليه سابقا أن الحياة الاقتصادية في الاهقار كانت قائمة على جملة من الوسائل ،أهمها :الغزو ،تجارة القوافل ،أما الغزو فقد تم حده وقفه بمجرد دخول الاستعمار الفرنسي أراضي الاهقار بعد 1902 معركة تيت بنتيسا ،في حين ظلت تجارة القوافل قائمة ،بل وتدخلت القوات الاستعمارية في تنظيمها ،و بقرأة في الصورة السوسيوولوجية للوضع بالاهقار نقرأ غياب الرجل عن المخيمات طلبا للغزو ،او الخروج في القوافل ، لحراستها" كان أبي يحدثنا عن كرم وشجاعة فرسان قبائل التوارق القاطنين أهنت ....في صد غارات قبائل الرقيبات وتوفير الحماية لجميع القوافل التي تمر عبر أراضيها \_ التي تسلك طريق أهنت الذي يربط بين الشمال(توات) والجنوب (تمبكتو) <sup>11</sup> او المشاركة فيها من خلال حمل السلع

ومقايضتها على أراضي السودان الفرنسي، وتغييب الرجل الحامي عن حياضه يجلب عيون الغزاة والمتربصين بنسائها وأطفالها وممتلكاتها، ولم يكن من بد سوى اختلاق أسطورة تحمي الحياض والمحارم، إذ أن جملة الأسئلة التي تدور حول المرأة تسميت هي نفسها القادرة على إحالة الأسطورة إلى الواقع: لماذا تفتك بالرجال دون النساء؟ ولماذا لا تظهر سوى في الليالي؟

ان المبرر الوحيد لصورة المرأة التي تفتك بالرجال هو بناء صورة ذات قدسية تحيط بالمرأة فلا يرى الرجل منها سوى الخوف والرعب ويثني عزمه على التعدي على حرمتها .

### 6.5 نسق الجسد :

يرى دافيد لوبروتون "لا يوجد أي انفصال نوعي بين لحم الإنسان ولحم العالم ... والجسد البشري في التقاليد الشعبية هو الموجه للانخراط وليس الباعث على الاستبعاد (بمعنى أن الجسد هو الذي سيُعرف الفرد ويفصله عن الآخرين وعن العالم أيضا)"<sup>12</sup>

وإذا كان الجسد الموجه للانخراط في المجتمع الذي ينتمي إليه ، فإن الجسد في الثقافة الشعبية بمجتمع ايموهاغ نهقار يشكل محورا قدسيا لا يجوز تخطيه، فالرجل والمرأة التارقيين على حد سواء يحافظون على مظاهر الجسد من خلال التستر بلباس ذي طبقتين من قبيل عدم إظهار تفاصيله، وبعد اللثام تكملة له من خلال ستر الوجه حتى عن الأقربين، فالرجل التارقي يحرم رؤية وجهه عن والدة زوجته خاصة ، وفي يوم زواجهم والأسبوع الذي يليه ،يتوجب على المرأة أن تصد وجهها عن المباركين وتتخذ ركنا من الخيمة تقابله ويكون ظهرها مقابلا للناس ولا تخاطبهم ولا تصدر صوتا ،في حين يرفع الرجل عن المرأة باتخاذ نصبة من تراب ويفترش

عليها أحسن الأفرشة ويجلس منتصباً في مواجهة المباركين ،وفي سائر الأيام يتوجب على المرأة عدم رفع صوتها ،والتحدث بصوت خافت مهما عظم الأمر وجل .  
لكن الرمزية الخلافية التي تجسدها المرأة تبيست تحتم علينا استقراءها ،فهي ليست مجرد سلوكيات وانفعالات فردية ،بل إنّ تعدد الروايات فيها يثبت انها نتاج مخيال جماعي لغايات تخدم النظام الجمعي ايضاً ،ذلك "الجسد لم يعد تلك الكتلة اللحمية بخصائصها البيولوجية كما صورته لنا علم التشريح والطب والجراحة لقرون طويلة ،بل قبل ذلك هو شبكة من الرموز والطقوس ومرصد لمختلف التمثلات والتصورات التي تؤسس للمخيال الاجتماعي"<sup>13</sup>

ومن ثم لا بد من تفكيك للعناصر الانزياحية لهذا الجسد ،من حيث الصوت والشكل ،وما ترصده من تصورات ،بحيث يكون بيانها في ثنائيات متعارضة ،وفق الجدول الآتي :

الصفات الفيزيولوجية والسلوكية للمرأة التارقية	الصفات الفيزيولوجية والسلوكية للمرأة تنبست
الحياء	افتراس الرجال
التستر	اظهار مفاتها
الصوت الخافت	العواء ليلا
مهمته بتفاصيل اناقته	تعيش في الأماكن النجسة كأماكن الذبح والأوساخ

المصدر: المؤلف الباحث نفسه

لا بد ان يكون لهذه التقابلات تفسير في نسج المخيال الاجتماعي ،فهي تطرح اسئلة ملحّة وجوهريّة :

مالغاية من خلق كائن أنثوي يعارض المرأة في مجتمع ايموهاغ خَلَقا وخَلَقا؟

وبالعودة الى الوظيفة الاساسية للاسطورة "ان الحكاية كما في الاسطورة وفي القمص الديني تكون وظيفتها الاساسية اعادة النظام الكوني(القيم ) الى فضاء تعمه الفوضى والعتمة التي تتخذ شكل (كائنات معتمة مهددة -ثعابين -غيلان - جن - اشرار)<sup>14</sup>

وعليه فإن المرأة تتيسمت كائن معتم مهدد للرجل بالدرجة الاولى ،ويتعارض مع قيم مجتمعه ، فهو يهدد النسل الانساني بالقضاء على الرجل ،وهذه المرأة اجتمعت فيها جميع الصور المعتمة والمهددة ،فهي تملك صفات حيوانية،تنزلها من مصاف الانسانية الى درجة الحيوانية:

عواء الذئب :والذئب في الحكايات الشعبية والاسطورية بالمنطقة:حيوان تجتمع فيه صور الطمع والجشع وحب الذات والخديعة والمكر ،وحضور صوته في اسطورة تتيسمت اعلان عن تفردا بصفاته ،فاذا كانت هذه المرأة في الحقيقة قد فقدت زوجها ،فمن الانانية ان تقضي على ازواج الاخريات.

قدم بغل او حمار او بعير :ان رمزية قدم بغل او حمار او بعير لا تكمن في رمزية الحيوان بل في رمزية القوة الكامنة خلف رفته ،والقصد ،ان لهذه المرأة قوة خاصة ،ومحدودية المخيال الشعبي لم تر القوة الخارقة سوى في رفسة احد هذه الحيوانات ،كما تحيل عليها وحشية الحيوان ولا عقلانيته.

رمزية فضاء الدنس المتصل بجسدها: وفق الروايات تألف المرأة تتيسمت العيش في الأماكن النجسة بالدماء ،"وقد جنثت المعتقدات الشعبية على تجنب الدم سواء اكان آدميا او حيوانيا ،فهو مصدر لقوى غيبية شريرة"<sup>15</sup> ،ومن ثم فإن هذه الفضاءات تمنح المرأة تتيسمت طاقة الشر التي تحافظ بها على هويتها،فهي تعيش به وعليه اذ انها كما تقول الاسطورة تتغذى على دماء ضحاياها بعد امتصاصها ،"...ويعتبر الدم الأدمي ذا حمولة رمزية اسطورية اكثر من غيره ،فالدم قرين بالحياة والموت

...وتعكس الاساطير والتمثلات حول الدم في الثقافات الانسانية كلها قيمة الدم  
الرمزية الخطيرة<sup>16</sup>

ونحن نستقرئ هذه الصورة تحضرنا حكاية "عايشة قنديشة" من المغرب التي تتناص  
مع صورة تيسمت، فهي تلك المرأة التي تظهر للرجال في صورة المرأة الفاتنة  
لتغويهم وتقتلهم، وهي كما يُحكى، عنها كانت في القرن الخامس عشر سيّدة اسمها  
"عائشة"، من أصل أندلسي، طُردت مع عائلتها إلى المغرب، وأصبحت مقاومة بعدما  
قُتل زوجها على يد البرتغاليين، إذ ساعدت الجيش المغربي في حربه ضدّ البرتغال،  
اشتهرت بجمالها الباهر فكانت تستخدمه لإغواء الجنود، واستدراجهم لمناطق معزولة  
ثمّ تذبذبهم، وحين أعيت الجيش البرتغالي الحيل أشاعوا أنها جنيّة تسكن المقابر  
والأودية والمستنقعات كي يغطوا على ضعفهم

ويصور التراث الشعبي المغربي، أيضاً، عايشة قنديشة في شكل ساحرة عجوز  
شمطاء وحاسدة، تقضي مجمل وقتها في حبك الألاعيب لتفريق الأزواج، ومرة أخرى  
في شكل امرأة فاتنة الجمال لها قدمان تشبهان حوافر الماعز أو الجمال أو البغال  
(بحسب المناطق المغربية). وكل من تقوده المصادفة إلى أماكن تواجهها يتعرض  
لإغوائها فينقاد خلفها فاقداً الإدراك إلى حيث مخبؤها من دون مقاومة لتلتهمه بلا  
رحمة وتطفئ نار جوعها الدائم للحم ودم البشر<sup>17</sup>.

وهي أيضاً امرأة تنحدر من الأندلس، من عائلة موريسكية نبيلة طُردت من هناك،  
أسمها البرتغاليون "عائشة الكونتييسة" أي الأميرة عائشة. (contessa) وقد تعاونت  
مع الجيش المغربي آنذاك لمحاربة البرتغاليين الذين قتلوا وشدروا أهلها؛ فأظهرت  
براعة وشجاعة في القتال حتى ظن البعض وعلى رأسهم البرتغاليون أنها ليست بشراً  
وإنما جنية. وقد حققت عايشة قنديشة لنفسها هيبة ومجداً لدى المقاومين والمجاهدين،  
وعامة المغاربة عندما حاربت الاحتلال بكل شجاعة وذكاء. ويروى أنها كانت -

أحياناً - تتخذ في مقاومتها مذهباً غريباً حيث كانت تقوم بإغراء جنود الحاميات الصليبية وتجرحهم إلى الوديان والمستنقعات حيث تذبحهم، الشيء أروع المحتلين الأوروبيين.<sup>18</sup>

وتتقاسم تنيست مع عايشة قنديشة عدة صفات ،نوضحها حسب الشكل الآتي :

صفات تنيست	صفات عايشة قنديشة
امراة فاتنة تعيش على الدماء وتقتل الرجال	تظهر للرجال في صورة المرأة الفاتنة لتغويهم
حسب الرواية جاءت من السودان (المقصود السودان الفرنسي مالي والنيجر)	يطلق عليها عايشة السودانية
لها حافر بغل او حمار او جمل حسب الروايات	لها حوافر ماعز او بغل او حمار

إن هذا التوافق الواضح بين الشخصيتين نردف إليه خاصية مميّزة للمرأة تنيست ،إذ تتداول الرواية الشفهية أنها تمتص دماء ضحاياها عن طريق إطالة النظر ، على نحو جماعة في النيجر يطلق عليهم "كركاوة" وهم مصاصي دماء بالنظر للضحية ،مما يؤكد نسبتها للنيجر .

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح ما تعليل تطابق قصتي عائشة قنديشة وتيسمت ؟ وما الغاية من نسبتها للسودان؟

إن البحث في تأكيد أصول الحكايات الشعبية والأساطير إلى زمن ومكان محددين ،ضرب من الإقصاء لها ،إذ تتحكم في تنقلها وتناقلها عدة عوامل،ولعل أهم عامل يعلل سبب التطابق بين الأثرين وكذلك تلونها بملامح بيئية قريبة ،هو تأثير تجارة القوافل ،فكما نعي جميعا ان التجارة كانت ذات أهمية بالغة في نشر الأديان والثقافات والفنون ،وبما ان هذه الأمكنة تقع ضمن خط تجاري واحد تتشارك حق التاريخ والجوار لابد أنها تلاقحت تراثيا وأنتجت صورة حكاية واحدة ،تفرد كل نص سردي بخصائص بيئته .إذ يقول :جون كلود رونو في كتابه كلام الرواة : "الحكاية عابرة للحدود وأهم المؤثرات التي منحتها أشكالها المتداولة هي:الزمن ،الموانئ ،الأسواق،استراحات المسافرين ،القوافل،السفر ،العبودية،الاستعمار ،والغزوات من خلال آلاف السنين ،وهي التي صقلت اللغات والشعوب والتواريخ والأفكار "

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح ما تعليل تطابق قصتي عائشة قنديشة وتيسمت ؟لقد رأينا ان مبرر ذلك يعود الى ان القصص الشعبي والاساطير لا وطن لها ومن المستعصي على الباحث أن يحدد لها اصلا نظير قدمها في جذور التاريخ ،والاساطير تسافر بين التجار والمرتحلين ،ولربما كانت الطرق التجارية التي تمر بمنطقة الاهقار السبيل الى هجرتها واستيطانها بيئات جديدة تلبست ثوبها وثقافتها

## 6. الخاتمة:

إن أهم ما نلخصه مما تقدم من بحثنا أن الأساطير لا موطن لها فهي خلاصة معمقة من تجارب الإنسانية ونظرتهم للحياة وتنظيمها ضمن نواميس وشرائع وضعية ، ومن الخطأ نسبتها لحدود زمانية ومكانية جغرافية ،فهي وليدة كل زمان ومكان وان تشاكنت صورها ومضامينها ،فلكل بيئة جغرافية رمزيتها.

واسطورة تتيستت وغيرها من اساطير الاهقار محملة بالرموز والصور نتيجة التراكمات التاريخية والثقافية ، وهي صورة صادقة للمخيل الاجتماعي ونقل لجميع عناصره عبرها .

إن تعالق أساطير الاهقار وبالخصوص اسطورة تتيستت مع اساطير اخرى رمزيا يوحى بان السرد لا حدود له وان قنوات خارجة عنه تساهم في مسح حدوده ومسارات انتقاله .

لم يكن لتجارة القوافل الفضل على الاقتصاد فحسب بل ،مد التراث اللامادي بطاقة وشحنات مكانية متعددة ،فأسطورة تتيستت تحمل رموزاً ذات ملامح شعوب دول المالي والنيجر .

لا تزال أساطير الاهقار تترجح تحت نير الدراسات السطحية ولم تول الأهمية اللازمة فهي متحف مفتوح على ثقافات القدم وعلى تفكير الاسلاف ، تستدعي التنقيب عنها بأدوات ومناهج حديثة تواكب الحضارة وتسمح بانفتاح على مضامينها

## 7.المراجع

<sup>1</sup> شاكور مصطفى سليم ،قاموس انثروبولوجي انكليزي عربي ،جامعة الكويت،1981، ص:56

<sup>2</sup> د.حسين فهيم ، قصة الانثروبولوجيا ،عالم المعرفة ،الكويت،1986،ص:14

<sup>3</sup> ايريفته مولود. شاعر وقاص (2020). المحاور : خديجة بالمين.

<sup>4</sup> حاجي محمد .خبير طرق (2020) المحاور : خديجة بالمين

<sup>5</sup> أخون خرمش .خبير طرق ومهاري شيخ قبيلة دغ عالي تاقمارت (2017) .المحاور : خديجة بالمين

<sup>6</sup> Jacques Giomard :Merveilleux in : Encyclopedia universailis ,corpus,paris,1985,p :1025 .

<sup>7</sup> Todorov : «Introduction à la littérature fantastique», Seuil, Paris, pp

8 «L'étrange et le merveilleux dans L'Islam médiéval», p 82.

9 محمد أقمامة .كيل اهقار (سقوط اخر مملكة للبربر) .دار هومة للنشر. 2014  
ص:24/23

10 اخموك بوداوي مليكة . الامينوكل الحاج باي آق اخموك .دار عبد اللطيف للطباعة  
والنشر.ص:51

11 محمد أقمامة .المرجع السابق .ص:33

12 دافيد لوبروتون . انثروبولوجيا الجسد والحدائثة .تر:محمد عرب صاصيلا . المؤسسة  
الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.1997 ص:31

13 مريم صالح بوشارب .سوسيولوجيا الجسد والوعي الصحي أي علاقة .الملتقى الوطني  
حول الصحة والسلوك 21\_22\_04\_2014 .الطارف

14 محمد فخر الدين .الحكاية الشعبية المغربية ص:31

15 دكتور حسني إبراهيم عبد العظيم.الجسد الانثوي بين المعتقد الشعبي والمعتقد الديني  
موقع ارانثروبوس [www.aranthropos.com](http://www.aranthropos.com) .تاريخ الزيارة: 20\_01\_2021

16 حسني ابراهيم عبد العظيم .(المرجع السابق نفسه)

17 مولود لقااح . مقاومة للاستعمار ام جنية ؟،مجلة اليكترونية :الميادين

www.almayadeen.net .تاريخ الزيارة 23\_01\_2021

18 مولود لقااح .المرجع السابق نفسه.